

صفحة من تاريخ الاباضية

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان عند الاباضية ، وقسمان عظيمان من أقسام الاسلام وجبا على كل شخص متى نيطت به عهدة التكليف ، يستوي في هذا الواجب الذكور والاناث كل في جنسه ، ولما ورد في الكتاب العزيز من الآيات الموجبة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والمالحة لهما — كقوله سبحانه « وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ . . . » الآية وقوله « وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ . . . » ، وآيات الوعيد على تركهما كقوله تعالى حكاية عن بني اسرائيل « كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ . . . » الآية — ولما ورد في السنة الصحيحة كقوله عليه الصلاة والسلام « لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيَسْلُطَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ فَيَدْعُو خِيَارَكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ » وأمثال ذلك

ولم نزل للاباضية هذه السيرة ، وفيهم هيئات دينية تقوم بهذا الواجب شبيهة بجماعة الأئمة المعادلين تحرس الشعب من تطرُق البدع اليه ، وربما أفردنا لها مقالا بعدد . وان العلماء يقومون بهذا الفرض فعلاً ، والعامّة لساناً ، فإذا زاغ الامام أو ترك القيام بالحدود الشرعية وجب على جماعة المسلمين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقوة إن استطاعوها . لهذا كان الاباضية يقومون في وجوه أئمة الجور ، والدلائل الصحيحة لهذا قوله صلى الله عليه وسلم « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ » (١) وهذا الحديث معدود من أصول الاسلام وقاعدة من قواعد الدين ولما اشتد الاضطراب في البصرة إذ تولّى حكمها رجال عتاة لا يرقبون واجباً ، فازداد الامر ارتباكاً ، ووضعوا السيف في الرقاب ، كانت القلائل متوالية

(١) ورد في (السند الصحيح) للربيع بن حبيب الفراهيدي البصري

بدون انقطاع ، فوقف زياد يوماً على المنبر بخطب فقال في خطبته :

« لا آخذن المحسن بالمسيء ، والمهاضر بالغائب ، والصحيح بالسقيم . . . »

فقام اليه أبو بلال مرداس بن حدير - أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم - وكان بالمسجد فقال :

— ما هكذا ذكر الله اذ يقول « وإبراهيم الذي وفى ، ألا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وأن ليس للانسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يَرى ، ثم يُجْزَاهُ الجزاء الاوفى »

ثم ألح زياد في طلب الذين تقموا عليه أعماله ، فصار يقتل بالظنة ؛ ويخص من شاء بالفيم ؛ فأجمع أبو بلال هو وأصحابه أمرهم على الخروج ، فقال لأصحابه : — ان الإقامة على الرضى بالجور كذنب ، وإن تجريد السيف واخافة الناس لعظيم ؛ ولكن نسير في أرض الله ولا نجرد سيفاً ؛ واذا أردنا قومٌ بظلم امتنعنا منهم

فقالوا له : — أنت رئيس المسلمين وبقيتهم

فخرج في ثلاثين من أصحابه ، فلقه على جسر البصرة عبد الله بن رباح عامل عبيد الله بن زياد - وكان صديقاً لأبي بلال ، وكان فاضلاً - فراودهم على الرجوع ، فأبوا . فأتوا الاهواز فأصابوا أموالاً لنحل لابن زياد ، فأخذوا أعطيتهم منها وتركوا الباقي

ولما بلغ الأمر عبيد الله بن زياد وجه اليهم جيشاً في ألفين عليه أسلم بن زرعة ، فاقفى الجيش أثر أبي بلال وجماعته . ومرّ ناس على أصحاب أبي بلال فسلموا عليهم فردوا عليهم التحية ، فقال لهم أصحاب أبي بلال :

— أمن هذا الجيش الذي يريد قتالنا ؟

قالوا : - لا

قال أبو بلال : سلمكم الله ، ابلغوا من لقيتم أنا لم نخرج لنفسد في الارض ،
ولا نقاتل إلا من اكرهنا على قتاله ، ولا نأخذ من الفية إلا اعطينا
وبلغهم أسلم بن زرعة وهم في آسك من نواحي الاهواز بين أرجان ورامهرمز ،
وكانوا في أربعين رجلاً فقالوا لأسلم بن زرعة :

- اتق الله ، فانا لا نريد قتالا ، فما تريد ؟

قال : - أردكم الى ابن زياد

قالوا له : - يقتلنا ، فتشاركه في دماننا ؟

قال : - نعم ، دماؤكم حلال ، وهو محق

قالوا : - اللهم ان كان كاذباً فانصرنا عليه

فاقتتلوا ، فانتصر أبو بلال وأصحابه . فقال في ذلك عيسى بن فانك الخطي

- أحد بني تيم الله بن نعلبة - في كلمة له :

فلما أصبحوا صلاوا وقاموا الى الجرد العتاق مسومينا
فلما استجمعوا حملوا عليهم فظل ذوو الجمائل يقتلون
بقية يومهم حتى أتاها سواد الليل فيه يُراوغونا
يقول بصيرهم لما أتاها بأن القوم ولوا هاريننا
ألفا مؤمن فيما زعمتم ويقتلهم بأسك أربعمونا
كذبتم ليس ذلك كما زعمتم ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة غير شك على الفئة الكثيرة ينصروننا

وغضب عبيد الله بن زياد على أسلم ، فقال أسلم :

- لأن يذمني ابن زياد وأناحي ، أحب الي من أن يمدخني وأنا ميت

ثم أرسل اليهم ابن زياد عبّاد بن أخضر في أربعة آلاف مع من انضم اليهم ،
فلما التقوا بأبي بلال قال لعباد :
- ما تريد ؟

قال له : - أردّكم الى ابن زياد
قال : - أتدعوننا الى طاعة من يسفك الدماء ، ويأخذ المال الحرام ، ويمطل
الحدود ، ويرتشي في الحكم ، وينسلط بالجبروت ، ويقتل بالظنة ، ويأخذ على
الهمة ، لا يقبل عنة ولا يقبل معذرة ؟

قال : - نعرف ما تقولون ، ولكن لهم مع ذلك الطاعة
وقيل انه قال : - كذبتهم ، هو خير منكم ، وأنتم أولى بالضلال منه
وقدم القمقاع بن عطية الباهلي من خراسان يريد الحج ، فقال :
- ما هذا ؟

قيل له : - الشرّة

فحمل عليهم . وانتشبت الحرب في يوم جمعة وأبو بلال يتلو « من كان يريد
حرث الآخرة نزل له في حرثه . . » الآية . فأمر القمقاع ، فقال لأبي بلال :
- لست من أعدائك ، وإنما خدعت ولم أعلم

فأطلقه . ورجع يقاّله ، فحمل عليه رجلان من أصحاب أبي بلال يقال لهما
حريث وكهمس ، فأسراه وقتلاه . وكان وقت صلاة الجمعة ، فنادى أبو بلال :
- إنا في يوم عظيم ، فدعونا حتى نصلي وتصلوا

فأجابوهم . فلما دخل في الصلاة هو وأصحابه كروا عليهم فقتلهم بين راحم
وساجد عن آخرهم

وأبو بلال ممن اشتهر بالورع والعلم والشجاعة ، وله وقائع أخرى

وذكر عبيد الله بن زياد البلجاء الحزامية^(١) من بني حزام بن بربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وكانت مشهورة بالعلم والورع والزهد والنسك . فلقى غيلان بن خرشة الضبي أبا بلال فأخبره بأن الأمير يذكر البلجاء . فغضب أبو بلال اليها فقال لها :

— ان الله جعل لاهل الاسلام سعة في التقية ، فان هذا الجبار المسرف ذكرك

قلت : — أكره ان يصل الى أحد مكروه بسبي ، فان أخذني فهو أشد له وأخذها فقال لها : إنك حرورية مخلوقة الرأس
فقلت : ما أنا كذلك

قال : لأريتكم منها عجبا ، اكشفوا رأسها
فمنعهم . فقال لا تكشفن احسن بضمة منك
فقلت : لقد سترته حيث لم تستره أمك

قال : إيه ، ما تشهدين على ؟

قلت : شهد الله عليك ثلاث شهادات بقوله « ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون — و — الظالمون — و — الفاسقون » وشهدت على نفسك أن أولئك كذبة وآخرك لدعوى

فغضب على لحية ، فقتلوا . فخرج أبو بلال في جنازتها فقال :
— لو أعلم أني أبعث على ما تبعث عليه لعلمت أني أبعث سويا على صراط

مستقيم

وروى أنه قطع يديها ورجليها وطرحها في السوق فمر بها أبو بلال فقال :

- لهذه أطيب نفساً عن بقية الدنيا منك ، ما من مينة أموتها أحبّ الى من مينة البلجاء

وكان ابو بلال وأصحابه اذا اشتدت بهم الحاجة باعوا حلى سيوفهم ، ولا يأخذون شيئاً الا عطاءهم

وقام في أوائل القرن الثاني (١٢٩ هـ) طالب الحق عبد الله بن يحيى بن عمر بن الاسود بن عبد الله بن الحارث بن معاوية بن الحارث السكندى ، وكان قاضياً لابراهيم بن جبلة عامل القويسم على حضرموت وهو عامل مروان بن محمد ، وأظهر القويسم الجور باليمن وحضرموت فنزع الناس الى عبد الله بن يحيى . فكتب الى أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة التيمى - الامام اذ ذاك بالبصرة بعد أبى الشعثاء وأنبع من أخذ عنه - يستشيريه فى الامر ويسترشده . فأجابه :

- ان استطعت فلا تبق يوماً واحداً

وأرسل اليه جماعة من الأبطال يعتمدونهم فى أموره ومهماته ، ويتولون جيوشه . منهم أبو حمزة المختار بن عوف بن سليمان بن مالك بن فهر الازدى أحد بنى سلمة ^(١) ، فكتب اليه يصف أبا حمزة « انا بعثنا لك رجلاً قرآنه فى صدره » يعنى علمه بالقرآن . ومنهم بلج بن عقبة الازدى أحد بنى مسعود وكتب اليه « انا بعثنا لك اثني عشر رجلاً وألفاً » يعنى بالالف بلج بن عقبة وكان من الابطال الممدودين

ولما وصل هؤلاء الى عبد الله بن يحيى استولى على صنعاء ، وخلص له اليمن ، قسم ما وجد من الاموال على فقراء صنعاء ، ولم يتبع مديراً ولا أجهز على جريح ولا استحل شيئاً من الاموال وفر القويسم عامل مروان

(١) فى كتاب الاشتقاق لابن دريد : أحد بنى سايمة بن مالك

وفي موسم الحج وجه عبد الله بن يحيى الى مكة أبا حمزة المختار بن عوف وبلج بن عقبة وابرهة بن علي في جيش لأداء فريضة الحج وتأمين السبل وإتقاذ الحرمين من الجور . فمشت السفراء بين أبي حمزة وعبد الواحد والي بني أمية بأن يلتزم الفريقان السلام الى أن يتم للناس حجهم ، فبقى أبو حمزة محايداً ، وكان بلج بن عقبة يأثي الجار مصحوباً بقوة من الخيل خوف الغدر به . فلما تم الحج وقضى الناس مناسكهم فر عبد الواحد ليلاً الى المدينة . فاستولى أبو حمزة علي مكة ، وخطب على منبرها ، وأقام فيها ما شاء الله

ثم قصد أبو حمزة المدينة فاستولى عليها ، وخطب خطبة وعثها القلوب لم تزل من متخير القول ومن منتقيات الترسُّل عند أهل الادب . وكان من الذين حضروها وحفظوها مالك بن أنس اليحصبي عالم المدينة

وخرج أبو حمزة يريد الشام ، فنار عليه أهل المدينة ، وكان قد وصلت جيوش الأمويين وعليها عبد الملك بن عطية فالتقى الفريقان . فقال أبو حمزة :

- ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه ، فإلى مَ تدعوننا انتم ؟

قالوا : - ندعوكم الى طاعة مروان

فاقتتلوا ، وكانت الواقعة بقديد - بين مكة والمدينة - انتصر فيها الأمويون بعد أن خسروا من جيشهم نحو أربعة آلاف . فرجع أبو حمزة الى مكة وهم في أثره حتى أدركوه ، فوقع بينه وبينهم (يوم مكة) وفيه قتل أبو حمزة وقتل معه أبو الحرّ علي بن الحصين العنبري وكان من خيار علماء المسلمين وقهائهم بمكة ومن الاغنياء الاجواد المنفقين في وجوه البرّ

ثم سار عبد الملك بن عطية الى اليمن فتغلب على عبد الله بن يحيى الكندي . فقتله . وسار الى حضرموت فقاتله أهلها ، فتحصن منهم في قرية هناك ، فحاصروه أربعة وعشرين يوماً ، حتى أعياهم الامر فطلب منهم الصلح فصالحوه علي أن يردّ

جميع ما في عسكره من الاموال التي أخذها ، فسلمها لهم فأخذوا ما عرفوا . ثم أرسل اليه مروان أن يلتحق بالحج ليصلي بالناس ، فخرج في نفر من أصحابه مبادراً الى الحج وجيشه خلفه ، فوافق رجلين من الاباضية أخوين يعرفان بابني جمانة ، فظنانه منهزماً ، فدخلاهما وأصحابهما عليه قرية بات فيها ، فقتلوه هو وأصحابه وهنا انتهت سلطة الاباضية - أبي حمزة وطالب الحق ومن معهم - بالحرمين واليمن ، وانحصرت في عمان

ابو اسحاق : ابراهيم الطفيش

يا بلادي

أقيمت لحليل بك مطران حفة تكريم في (بستان الانسراح)
بترحيفا وهو مائة الى مصر ، فألقى في تلك الحملة قصيدة منها
هذه الايات :

يا بلادي اليك يهفو فؤادي كل أن شوقاً ويلتاع وجداً
كلما اشتدت الصروف بأهليك بما ذلك الهوى واشتداً
كيف لا توهب الحياة فدى شعب كهذا الشعب العزيز المغدّي
وطبي الباكي الحزين الذي نشرب فيه أسى ونشرق مهداً
ان تجزأ من وحدة لم يكن حدك في القلب غير ما كان حدّاً
كيف يني ذاك المفروق حساً في بني الأم بين روحين سداً
من ذرى كرم الى حلب السيفت قرباً ما كان يُحسب بعداً
وطبي لو ببعدا عنك يوماً بيع خلذ النعيم لم نشرّ خلداً

حليل مطران